مَكِّيَّة الجُزْءُ الثَّلَاثُونَ سُورَةُ العَصْرِ آيَاتُهَا ٣

سُورَةُ العَصْرِ ، سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، والمؤمنون جميعًا رجالهم، ونساءهم، وشبابهم، وشيوخهم، وجنُّهم، وانسهم، يجب عليهم ويتحتم أن يعملوا بهذه السورة العظيمة؛ وذلك لأن الدين قائمٌ على ما دلت عليه، ولأن سلامة العبد المؤمن من العطب، ومن الخسارة الدنيوية والأخروية، لاحقٌ لذلك والله عَزَّوَجَلَّ كما تعلمون وتعتقدون أنه أحسن قيلًا وأصدق حديثًا، وقد أقسم قسمًا بمخلوق من مخلوقاته وله ذلك ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٣]، يقسم بما شاء تعظيمًا لذلك المخلوق، ولا يجوز للمخلوق أن يحلف بغير الله تعالى، **وملخص ما يقسم به يعود إلى قسمين:**

- **الأول:** الحلف بأسماء اللَّه وصفاته وهذا هو الذي لا ينعقد إلا هو.
- **الثاني:** الحلف بغير اللَّه عَزَّوَجَلَّ، والحلف به محرم وصاحبه بين عظيمتين: أحدها: الشرك الأكبر إن قرنه تعظيمًا للمحلوف به والآخر: شرك أصغر.

وأما الحلف في القرآن بغير اللَّه عَزَّوَجَلَّ فالجواب عليه ما قال ابن الملقن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عنه جوابان:

- **أحدهما:** أنه على حذف مضاف كما سلف في الحديث، - يشير: إلى تقدير ورب الشمس ورب مواقع النجوم -.
- **ثانيهما:** أن اللَّه تعالى يقسم بما شاء للتنبيه على شرفه؛ فإنه المتصرف في ملكه كيف يشاء ونحن لا نتصرف إلا كما أذن لنا وقد أبلغنا نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقال: «**مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ**»[1]. اهـ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾ العَصْرُ: الزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَقَالَ مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: هُوَ الْعَشِيُّ، وَالْمَشْهُورُ الْأَوَّلُ[2]. اهـ.

(١) «الإعلام بفوائد عمدة الأحكام» (٩/٢٥٨).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/٤٨٠).

قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ أكد خسارة الإنسان بحرف التوكيد إِنَّ وباللام الداخلة في خبره كما أكده بالقسم، وهذه التوكيدات الثلاث تدلك دلالة واضحة على أهمية هذا الأمر الذي فيه صلاحك، وصلاح معادك، وصلاح حياتك ومماتك، والمراد بالإنسان جنس الإنسان فكل إنسان في خسارة وضياع إلا من استثناه الدليل على ما يأتي.

قوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ استثنى الله عَزَّوَجَلَّ طائفة واحدة من هذه الخسارة، والناس يتفاوتون منهم من يخسر بشهوته، ومنهم من يخسر بشبهته، ومنهم من يخسر بهما جميعا ويتبع هواه، قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الجاثية:٢٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص:٢٦]، وإنما ينسى يوم الحساب أهل الخسارة، أهل البعد والإعراض، أهل الجحود، أهل الكفر والعناد، فالسالمون من الخسارة الدنيوية والأخروية صنفٌ واحدٌ، وكلٌّ يقول: أنا هو.

وَكُـلٌّ يَـدَّعِي وَصْـلًا لِلَـيْلَى ❁❁❁ وَلَـيْلَى لَا تُقِـرُّ لَهُـمْ بِـذَاكَا

فالدَّعاوى ما لم يقيموا عليها بيِّنات أصحابها أدعياء، والنبي ﷺ يقول كما في حديث ابْنِ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «**لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَادَّعَى رِجَالٌ أَمْوَالَ قَوْمٍ وَدِمَاءَهُمْ ، وَلَكِنَّ الْبَيِّنَةَ عَلَى الْمُدَّعِي ، وَالْيَمِينَ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**»(١).

فما هي الصفات التي يوصف ويتميز بها أهل السلامة من الخسارة؟

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ هذا بيان لمن استثناه الله تعالى من صنف الخسارة في الدارين.

فالشرط الأول: الإيمان: ويشمل أركان الإيمان الستة، الإيمانُ بِاللَّه، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.

الإيمان بالله: يتضمن الإيمان بوجوده، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

الإيمان برسول الله ﷺ: يتضمن الإيمان بما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

الإيمان برسل الله عليهم الصلاة والسلام: يستلزم الإيمان بما أخبر من الرسل فنؤمن بمن عرفنا

(١) حديث حسن رواه البيهقي (٢١٢٠١) وغيره هكذا، وبعضه في «الصحيحين».

من أسماءهم ونؤمن بمن لم نعرف، قال تعالى: ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ ﴾ [النساء:١٦٤] ونؤمن ونقر ونعترف ونعتقد أن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء، ودينه ناسخٌ لجميع الشرائع والأديان، فمن زعم أنه يسعه الخروج من شريعة محمدٍ ﷺ كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى فقد كفر.

ونؤمن أن من لم يؤمن بمحمدٍ ﷺ من اليهود والنصارى وغيرهم فهو كافر، لحديث النبي ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»(١).

الإيمان بكتب الله: فنؤمن بأن الله عَزَّوَجَلَّ انزل التوراة والإنجيل وأنزل صحفًا على إبراهيم وصحفًا على موسى وأنزل على داود الزبور وأنزل كتبًا غير ذلك، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ ﴾ [الحديد:٢٥] فنؤمن بها إجمالًا على أنها من عند الله، وأنها قد حُرفت وبُدلت وغُيرت بخبر الله الحق إلا القرآن.

ثم نؤمن أن هذا القرآن ناسخ لجميع الكتب، قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ ﴾ [المائدة:٤٨]، مهيمنٌ على جميعها وناسخ لها وأنه محفوظ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر:٩]، فنعمل بمحكمه ونؤمن به وما أشكل وأشتبه علينا منه نرده إلى أهل العلم لعلمهم به وإن لم نجد فنقول كما قال تعالى: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:٧]

الإيمان بالملائكة: فنؤمن بملائكة الله وبمن سمى منهم ومن لم يسم وبأنهم خلق ولهم صفات، خلقهم الله من نور كما خلق الجن من نار وخلق الإنسان من طين كما في حديث عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**»(٢).

وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وأن لهم وظائف منهم ملك الجبال، وجبريل، وميكائيل، وحملة العرش، وإسرافيل، وغير ذلك مما هذا ليس موطن بسطه.

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٦).

الإيمان باليوم الآخر: فنؤمن باليوم الآخر وما فيه من الصراط، والميزان، والحوض، وتطاير الصحف، ويدخل فيه عذاب القبر ونعيمة، والضمة والفتنة، وغير ذلك. والنظر إلى وجه الله عَزَّوَجَلَّ، ونؤمن بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان لا تبيدان.

ونؤمن بما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ من المغيبات فنؤمن بخبر الله عَزَّوَجَلَّ، ونؤمن بخبر رسول الله ﷺ.

ونؤمن بالقدر خيره وشره، وأن ما أصابك لم يكن ليُخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليُصيبك جف القلم بما هو كائن.

ومراتب القدر أربعة:

العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق دل عليها أدلة الكتاب والسنة، والقدر سر الله عَزَّوَجَلَّ وعلمه، وأعظم الناس جهلًا به من تعمق في الخوض فيه، وأعظم الناس علمًا به من أمنوا به وجمعوا بين الآيات بعيدًا عن أفكار المجبرة من الجهمية والأشاعرة وأفكار النُفاة من المعتزلة.

فالإيمان بالله والإيمان بما ذُكر يُنمي في الإنسان محبة الخير ويدعوه إلى نشر الخير، ويحذره من الشر والضير، لأنه يعلم أنه عبد مخلوق مربوب، وبأن الله عَزَّوَجَلَّ أمره ونهاه، وبأن الله عَزَّوَجَلَّ أرسل إليه ملائكة حافظين، وأرسل إليه رسلا يعلمونه ما جهل، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ [الإسراء:١٥].

والإيمان بالقدر فيها الاستسلام والانقياد لله عَزَّوَجَلَّ والرضا بقضاء الله تعالى، والإيمان باليوم الأخر فيه الحث على ملازمة الطاعات والقربات فإن العمر قصير وما نقدم عليه عسير.

قوله: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أي لازموا فعل الطاعات والقربات فكل ما أمر الله تعالى به فهو من الصالحات.

فالشرط الثاني للسلامة من الخسارة: ملازمة العمل الصالح: فمدعي الإيمان كثير؛ لكن ينبغي أن يقرن القول بالعمل، ولهذا قرن الله عَزَّوَجَلَّ بين الإيمان والعمل في ستة وخمسين موضعًا من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم:٩٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ [الكهف:٣٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف:١٠٧]، وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]،

في آيات طيبات مباركات كثيرة.

ويعرف الإيمان عند أهل السنة والجماعة بأنه قول باللسان وعمل بالجوارح واعتقاد بالقلب، وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ العَزِيزِ إِلَى عَدِيِّ بْنِ عَدِيٍّ: «إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَنًا، فَمَنِ اسْتَكْمَلَهَا اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ، فَإِنْ أَعِشْ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمُتْ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ»(١).

والأعمال داخلة في مسمى الإيمان وليست بخارجة عنه كما زعم المرجئة الذين يزعمون أن الذي لا يعمل والذي يعمل سواء حتى قال قائلهم والإيمان أهله في أصله سواء أو كما قال الطحاوي، وقال قائلهم لما رأى امرأة ترقص هذه على إيمان امرأت عمران، وقال الأخر أنا على إيمان جبريل وميكائيل.

فالصلاة والحج والزكاة والجهاد وصلة الرحم وغيرها من الطاعات كلها من الإيمان، والإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات والقُربات وينقص بالمعاصي والسيئات والبدع والشركيات وأدلة زيادة الإيمان ونقصانه ليس هذا موطن بسطها، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم:٧٦]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧]، وَقَوْلُهُ تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر:٣١]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة:١٢٤]، وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [آل عمران:١٧٣]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢].

قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ أي أن دينهم قام على النصيحة.

الشرط الثالث من شروط السلامة: التواصي بالحق، فالله عَزَّوَجَلَّ حق ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحج:٦٢]، والقران حق كما اخبر الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣]، والنبي ﷺ حق، كما قال ﷺ في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ**»(٢) الحديث.

---

(١) ذكره البخاري (١/ ١٠) في كِتَابِ الإِيمَانِ.

(٢) متفق عليه، البخاري (١١٢٠) ومسلم (٧٦٩).

فنؤمن بهذا كله ونتواصى بالحق الذي هو القرآن والسنة؛ لأنه جاء من عند الحق سبحانه وتعالى؛ ولأن الذي جاء به الداعي إلى الحق محمد ﷺ؛ ولأن ما يضاد القرآن والسنة باطل وإذا تزاحم الباطل مع الحق ذهب الباطل، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ [الإسراء:٨١]، وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ [الكهف:٢٩]، وهذا ليس بالتخيير وإنما هو بالتهديد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ ﴾ [الكهف:٢٩]، أي من تخلف عن الحق وعن أصحابه وأهله ولازم سبيل المجرمين: ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الكهف:٢٩]. لما كانوا ليسوا بأصحاب حق اغيثوا بنظير ما كانوا فيه يزيدهم شدة إلى شدتهم، وعناء إلى عناءهم، وعذاب إلى عذابهم.

فالله عَزَّوَجَلَّ أقسم أنه الحق وبالحق يقول، قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ ﴾ [ص:٨٤] فالله الله بالتواصي بالحق والدعوة إلى الحق والحق هو الكتاب والسنة فادع إليهما تفلح، وتربح، وتنجح، ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف:١٠٨].

وطريقة النبي ﷺ الدعوة الى الحق، ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:١٠٨] أي على علم ومعرفة بالحق ومعرفة بالباطل الذي يحذر منه، والذي ما عنده معرفة بالحق ومعرفة بالباطل يدخل على الناس ما ليس من الحق ويدخل على الناس الباطل؛ ولهذا قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:١٠٨] أي على حق ومعرفة وبيان أنا ومن اتبعني، كلنا ندعو إلى الله على بصيرة وحق نعرفه ونعتقده وندين به. فالحق الحق لازمه على نفسك، لازمه على غيرك، لازمة بحضرك، لازمه بسفرك، واحذر من تلبيسات الشيطان أن يعظم نفسك إليك فلا تظن أن الحق إلا فيه أو أن يعظم بعض الناس إليك لا تظن أن الحق إلا فيه.

فالحق هو الكتاب والسنة، والناس يصيبون ويخطئون، ويعلمون ويجهلون، فالواجب على المسلم أن يكون ذهابه وإيابه وقيامه وقعوده على طريقة الكتاب والسنة ففيهما السلامة من العطب وفيهما طريق الوصول، قال النبي ﷺ كما في حديث زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ ... ثُمَّ قَالَ وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمْ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠٨).

فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به فهو حبل الله المتين من تمسك به نجا، ومن تركه ضل وغوى، انصر الحق الذي هو سنة رسول الله ﷺ وامش به وادع به وهذا يحتاج إلى علم وإلى عمل، والدليل هو أن الله عَزَّوَجَلَّ إنما أمر بالتواصي بالحق لما ذكر قبل ذلك الإيمان والعمل.

فالإنسان العامل ربما تكون دعوته الفعلية أبلغ بكثير من دعوته القولية، والإنسان غير العامل ضرره كثير وكبير، فَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ» قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ» قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا» قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١).

فعلماء السوء وقفوا على أبواب الجنة يدعون الناس بأقوالهم ويصدونهم عنها بأفعالهم إلا أن تكون عالمًا عاملًا فلازم الخير مع صديقك وعدوك، ومع موافقك ومخالفك، لتكن إرادة الخير منك للمسلمين حاصلة، هذا دين الله، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢).

وعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»(٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).
(٢) متفق عليه، البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).
(٣) متفق عليه، البخاري (٢١)، ومسلم (٤٣) واللفظ له.

عَيْنَاهُ»(١)، فالشاهد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه من أجل الحق وفي الحق وبالحق، إذا لم يكن هذا هو ديدنك وهذه طريقتك، والرسول ﷺ كان يحب للناس الخير وملازمة الحق حتى اشتد ذلك عليه فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر:٨].

والحق ثقيل على الأنفس لأن أعداء الحق كثير ومنهم أهل الباطل بأنواعهم، والهوى، والنفس الأمارة، والشيطان، إذًا أعداء الحق كثير فإن لم تجاهد نفسك من أجل العمل بالحق ومحبة الحق ومحبة الخير للمسلمين فأنت صيد لما تقدم من الأعداء.

ولهذا أهل السنة أرحم الناس بالناس، لماذا؟ لأنهم يدعونهم إلى الحق اعتقادًا وعلمًا وعملًا وإلى دار الحق التي هي إلى الجنة، وإلى إرضاء الحق الذي هو الله عَزَّوَجَلَّ، والابتعاد عما يسبب لهم العطب والنار الذي هي حق وعذاب القبر الذي هو حق. ومن أسباب انتشار الدعوة بين الناس محبته الله تعالى لما هو حق، ومحبته لهداية الناس للحق، وإخراجهم من الظلمات إلى النور من ظلمات الشر وظلمات البدع من ظلمات المعاصي من ظلمات الأهواء إلى النور الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، أي يخرجهم من الباطل إلى الحق ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة:٢٥٧] أي يخرجهم الشيطان من الحق الواضح الجلي البيِّن الظاهر إلى الباطل الصرف.

فليكن حالك الدعوة إلى الحق، والترغيب فيه، والبيان للحق، الحق يحتاج إلى بيان لأن صورة الحق تُشوه بسبب كثرة المخالفين، وداعي الحق يُشَوه بسبب كثرة الأعداء؛ فلهذا الحق يحتاج إلى بيان بالصبر والرفق واللطف بالعباد وعدم الانتقام للنفس، لو أن الإنسان ينتقم لنفسه ما خرج ولا تكلم ولا ألف ولا صنف ولا أمر ولا نهى، كم من الناس تنصح له وهو يتتبع زلة منك وهفوة وكلمة ليطير بها فرحًا وما يحرص على سماع الحق والاستفادة من الحق وعلى ملازمة الحق، وإنما قد فرخ الشيطان في رأسه فيحاول دائمًا في أذية الحق في طريقة أو بأخرى بينما الذي يجب على المسلم أن يصبر ويتصبر من أجل هذا الحق، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ [الأعراف:٥٩]، ركز معي صاحب حق أرسله الحق لماذا؟

﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾

(١) متفق عليه، البخاري (٦٦٠) واللفظ له، ومسلم (١٠٣١).

[الأعراف:٥٩]، دعاهم إلى عبادة الحق سبحانه وتعالى ف ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف:٦٠]، لكن لما كان هذا القول منهم باطل، ولما كان نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عنده همة عالية في الدعوة إلى الحق حتى صبر عليهم ألف سنة إلا خمسين عاما قال: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف:٦١]، يا ليت نستطيع أن نسلك مثل هذا السلوك العظيم يقولون له أنت ضال، أنت منحرف، فلم يعَنِّف ولم يشتد حتى ينفذ، وإنما قال: ﴿لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ﴾ [الأعراف:٦١]، هذا الاتهام الذي اتهمتموني به ليس بصحيح، لست من أهل الباطل، ولست من أهل الخنا، ولست من دعاة الزور، ولست من دعاة الفجور ﴿وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف:٦١-٦٢]، انظر إلى هذا الخير العظيم حرص على الهداية مع أنه إذا قال لهم أنتم المعرضون، أنتم المبطلون، أنتم الضالون، أنتم المخالفون، ما أُنكِر عليه لكنه حريص على بث الخير، وهكذا ثمود قالوا لنبي الله هود عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف:٦٦] فيرد عليهم بنفس الرد اللطيف: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف:٦٧-٦٨].

والنبي ﷺ يسبونه ويشتمونه ويكسرون المغفر على رأسه وتكسر البيضة وتكسر رباعيته وهو يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**»(١)؛ لأن صاحب الحق مراده رد الناس إلى الحق لا التشفي والتلهي والصد وإنما مراده الخير والبر، ولهذا لما دعا عليهم عاتبه الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [آل عمران:١٢٨]، فالأمر كله لله عَزَّوَجَلَّ؛ فإذًا عباد الله، الواجب علينا أن نتواصى بالحق بعد عِلمَنَا وعَمَلنَا، نوصي غيرنا ونوصي أنفسنا لأن الوصية من أعظم الوسائل لنشر الحق ونشر الخير ونشر البر.

قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾

ثم الشرط الرابع: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا تواصي بالحق، وهل النصيحة التي قال عنها النبي ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(٢)، إلا تواصي بالحق، وهل

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٧) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم (٥٥) عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخطابة والتصنيف والتأليف إلا تواصي بالحق، وهل التدريس إلا تواصي بالحق، كل ذلك من الحق الذي يتواصى به أهل السنة أهل الحق أهل الاستقامة، وأيضًا التواصي بالصبر فالحق كما تقدم ثقيل والشيء الثقيل يحتاج إلى صبر.

والحق أيضًا له أعداء والأعداء يؤذون، يؤذون بالأقوال، يؤذون بالأفعال، يؤذون بالباطل الذي هم عليه، فتحتاج إلى صبر عليه، ولهذا قال موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لقومه: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف:١٢٨]. لأنهم بلغوا في التحمل مبلغًا من حيث أذية فرعون وقومه لهم؛ ولهذا دلهم موسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ على طريق يوصلهم إلى انتشار الحق الذي يدعون إليه، وإلى ثباتهم على الحق الذي يدلون عليه ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾ [الأعراف:١٢٨]، وأخبرهم أن الأرض لله يورثها أهل الحق من عباده ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف:١٢٨]، العاقبة لأهل الحق أهل التقى أهل الصلاح، والتواصي بالصبر أمر مطلوب ومرغب فيه ومحبوب لأن الله عَزَّوَجَلَّ يحب الصابرين على ملازمة الحق، والصابرين عن البعد عن الباطل، والصابرين الذين يصبرون على أذية أهل الباطل، فالله يحب الصابرين بأصنافهم الثلاثة.

فالمطلوب منا إيمان وعمل، ومن تمام الإيمان والعمل التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وهذه الدعوة المباركة دعوة أهل السنة والجماعة إنما انتشرت بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر ما قالوا: نتعاون فيما اتفقنا فيه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

ولا قالوا: منهجنا واسع أفيح يسع الأمة ويسع أهل السنة، ولا قالوا: لا نجعل خلافنا في غيرنا بسبب الخلاف بيننا، ولا قالوا: نصحح ولا نهدم، وإنما قالوا: نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر.

إننا في زمن كثُر شره وقل خيره، كثُر باطله وقل حقه، وإننا بحاجة إلى المراجعة لأنفسنا لعودتنا إلى كتاب ربنا وإلى سنة نبينا ﷺ وملازمة ذلك في جميع أوقاتنا ولحظاتنا، وحركاتنا وسكناتنا، ولنتحاب فيما بيننا، ولنتناصح فيما بيننا، ولندعو لبعضنا، ولنرحم بعضنا، فإن الشر كثير وأنت غريب فإذا لم يقع بيننا ذلك فمن الذي سيقوم بنا ومن الذي سيرحمنا ونحن غرباء، والغرباء يتعاطفون ويتزاورن ويتراحمون ويتناصحون، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**طُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، فَقِيلَ: مَنِ الْغُرَبَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أُنَاسٌ صَالِحُونَ، فِي أُنَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ، مَنْ يَعْصِيهِمْ أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ**»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٦٦٥٠)، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

فالغريب يلازم الدعوة إلى الحق والذين يعصونه كثير، والغريب يقبل على الله، ويقبل على الخير، ويقبل على البر.

والسلفية ليست قميص يتقمص فيه من شاء وينزعه من شاء.

السلفية ليست ادعاء.

السلفية علمٌ وعملٌ واعتقادٌ ونيةٌ.

السلفية هي دين الله الحق الذي انزله على محمد ﷺ.

السلفية هي دعوة النبي ﷺ بفهم أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير وسعد، وسعيد رضي الله عنهم، وغيرهم من الرعيل الأول ومن تبعهم بإحسان.

لنكن كلنا أدوات بناء لهذه الدعوة، لنبنيها بالطاعات، بالقربات، لبث الخير والعلم، والبعد عن كل ما يناقض الكتاب والسنة، والبعد عن كل ما يخالف الكتاب السنة.

الإنصاف مع أنفسنا ومع خصومنا، فعَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رضي الله عنه، أنه قال: «ثَلَاثٌ مَنِ اسْتَكْمَلَهُنَّ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ بِهِنَّ الْإِيمَانَ: إِنْصَافٌ مِنْ نَفْسِهِ، وَالْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَبَذْلُ السَّلَامِ لِلْعَالَمِ»(١). لا تنصف لنفسك وتجور على غيرك، انصف لغيرك وانصف لنفسك، فإن هذا من أسباب انتصار وظهور الدعوة السلفية.

هذه السورة العظيمة التي تكلمنا عن بعض فوائدها والتقصي يطول، والعمل بالصالحات التي دلت عليها مطلوب منا جميعًا فالله الله في الخير وملازمته، والدعوة إليه، وعدم الابتعاد عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلنقبل على العلم والتعليم والدعوة، وليكن قائدنا وإسوتنا ودليلنا في ذلك هو الكتاب والسنة، نعم المتمثلة في فهم سلف الأمة رضوان الله عليهم أجمعين عباد الله، وكما قيل: «هَتَفَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ»(٢)، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة:١٠٥]، فالعمل بماء جاءنا في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ هو من أعظم أسباب الرفعة في الدنيا والآخرة ومن أسباب الفلاح.

اعْمَلْ بِعِلْمِكَ تَغْنَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ ❁❁❁ لا يَنْفَعُ العِلْمُ إِنْ لَمْ يَحْسُنِ العَمَلُ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٧١٣).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «ذم من لا يعمل بعلمه» (١٤)، والخطيب في «اقتضاء العلم بالعمل» (٤٠)، عَنْ عَلِيِّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

فاستفد من الذي يحثك على الحق، ويدلك عليه، وإياك من تتبع العثرات والزلات والكلمات خصوصًا السني السلفي، الخطأ مردود ممن قاله، وممن عمله، لكن تحضر عند رجل عند شيخ عند مدرس وأنت لا تريد الإصغاء والاستفادة وإنما تريد مما يخرج من فيه فإذا ما خرج طرت مشرقًا ومغربًا، سبحان الله! ليكن حالنا إذا خرج الخير نشرناه، وإذا وقع من الإنسان الذي هو معروف بسلامة المعتقد وحسن المقصد ما نظنه يخالف الخير نصحناه وبيَّناه إذا عُلم أنه إنما هي كلمة خرجت أو كذا النصيحة للمسلمين، «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»(١).

وإن عُلم أنه خطأ فادح في العقيدة حُذر من الخطأ، ولا يسابق العلماء، ولا يستعجل بالأحكام، بل يلازم العلماء: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل:٤٣]، فما أمر الله بسؤالهم والعودة إليهم إلا لفضلهم ومنزلتهم وتعقلهم وتفهمهم ووضعهم للأمور في موطنها، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [العنكبوت:٤٣].

فالله الله بالتفقه وطلب العلم استغلوا أوقاتكم واستغلوا لحظاتكم في ذلك، فَإِنَّ يَحْيَى بْنَ مَعِينٍ قِيلَ لَهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: مَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: «بَيْتٌ خَالِي، وَإِسْنَادٌ عَالِي»(٢).

وفي حديث عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ، وابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أن النبي ﷺ عند موته جعل يمسح عن وجهه، ويضع الخُمرة على وجهه فإذا اغتم كشفها - وهو يبث العلم ويدعو إليه - وهو يقول: «**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى اليَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»(٣).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَادَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «**يَا خَالُ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**»، فَقَالَ: أَخَالٌ أَمْ عَمٌّ؟ فَقَالَ: «**لَا، بَلْ خَالٌ**»، قَالَ: فَخَيْرٌ لِي أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَعَمْ**»(٤).

ولما جاء إلى ذلك اليهودي الغلام كما في حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «**أَسْلِمْ**»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥) عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه ابن الصلاح في «مقدمته» (٢٥٦).
(٣) متفق عليه، البخاري (٤٣٥)، ومسلم (٥٣١).
(٤) أخرجه أحمد (١٢٥٤٣).
(٥) أخرجه البخاري (١٣٥٦).

وعن عَبْدِ اللَّهِ بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ رَجُلٌ شَابٌّ يُثْنِي عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وَقَدْ طُعِنَ وَالنَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ - فَلَمَّا أَدْبَرَ إِذَا إِزَارُهُ يَمَسُّ الْأَرْضَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي، ارْفَعْ إِزَارَكَ فَإِنَّهُ أَتْقَى لِرَبِّكَ وَأَنْقَى لِثَوْبِكَ»، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: يَرْحَمُ اللَّهُ عُمَرَ لَمْ يَمْنَعْهُ مَا كَانَ فِيهِ أَنَّهُ رَأَى حَقًّا لِلَّهِ يَتَكَلَّمُ فِيهِ(١).

فنحن مطالبون جميعًا بالعلم والعمل والدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، ونسأل الله ذلك، نسأل الله الهداية والتوفيق والسداد، نحن في الله وبالله فإذا خالفنا ذلك فإن العطب مصيرنا ومآلنا.

وسبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

والحمد لله رب العالمين.

(١) أخرجه ابن شبة في «تاريخ المدينة» (٣/ ٩٣٥).